

## وصف الامام سعود

هينته : كان سعود وسيماً ، جميلاً ، مهيباً ، وكانت له لحية طويلة ، وشوارب كثيفة ويقول « بركارت » : إن كثيراً من العرب كانوا يدعونه : ( أبو شوارب ) .  
صوته : وكان صيْتاً ، يسمع صوته من بعيد ، ولكنه صوت حلو ، محبب إلى الأسماع ، تميل اليه الأنفوس ولا تملة .  
ملابسه : وكانت ملابسه مثل ملابس القوم ، ولكنها من أحسن نسيج ، وربما طيَّبها بطيب .

علمه وبيانه : تلقى العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكان ذكياً ، بل عبقرياً ، سريع الحفظ ، سريع الفهم ، فلا عجب إذا عدّوه في مقدمة العلماء في زمانه بالتفسير والحديث والفقه وغير ذلك من علوم العربية ، وكان إلى ذلك خطيباً بارعاً ومحدثاً رائعاً ، أجمع العارفون على فصاحته وبلاغته وحسن بيانه .  
ويقول ابن بشر : إنه ( إذا كتب نصيحة إلى جميع رعاياه من المسلمين أتى بالمعجب العجيب ، وبهرت عقول أولي الألباب ، وكان أول ما يصدر النصيحة بالوصية بتقوى الله تعالى ومعرفة نعمة الإسلام ، ومعرفة التوحيد ، والاجتماع بعد الفرقة ، ثم الحُضْ على الجهاد في سبيل الله ، ثم الزجر عن جميع المحظورات من الزنا والغيبة والنميمة وقول الزور والمعاملات الربوية وغير ذلك ، وكل نوع من ذلك يأتي عليه بالأدلة من الكتاب والسنة وكلام العلماء ، فمن وقف على شيء من مراسلاته ونصائحه عرف بلاغته ووفور علمه .

وإذا تكلم في المحافل بنصيحة أو مذاكرة بهرَ عقل من لم يكن قد سمعه ، وخال في نفسه أنه لم يسمع مثل قوله وحسن منطقته ) .  
وقد وقفنا على مواعظ ورسائل للإمام سعود ، بعضها في ذروة البلاغة ، وبعضها كتب بأسلوب « عامي » ، مما يدل على أنه كان يخاطب الناس ، على قدر عقولهم !

هيئته وتواضعه : ويردف ابن بشر قائلاً : ( .. وعليه الهيبة العظيمة ، التي ما سمعنا بها في الملوك السالفة ، بحيث أن ملوك الأقطار لا تتجاسر على مراجعته الكلام ولا ترمقه بأبصارها إجلالاً له وإعظاماً .. وهو ، مع ذلك ، في الغاية من التواضع للمساكين وذوي الحاجة ، وكثير المداعبة والانبساط لخواصه وأصحابه . )

ويروي بركلرت قصة طريفة عن سعود تظهر رقة عاطفته ، فقد كان يوماً في الحرم المكي ، مع رهط من العلماء والكبار ، فلمح حفيداً له صغيراً ، فذهب إليه واحتواه بين ذراعيه وأوسعه شماً ولثماً .

### سعود الكبير :

ويقول أمين الريحاني : إن الإمام سعود إنما دعي ( بالكبير ) لأنه 'خص' بكثير من تلك السجايا ( التي تؤهل رجل التاريخ لهذا اللقب ، فكان في عظمته متواضعاً ، وفي حكته ورعاً وفي عدله حكيماً ، وفي سياسته جامعاً بين المرونة والمضاء ، أضف إلى ذلك ذكاءً لم يكن عادياً ، ولم يقف به عند حد السياسة ، فقد كان مولعاً بالعلم ، محباً للعلماء وللطلاب ، فلم يستنكف من عقد مجالس للمطالعة والتدريس في قصره وتحت اشرافه ، عندما يكون في العاصمة ، بل كان هو يتولى التعليم في بعض الأحيان فيدهش حتى العلماء بما كان يحسنه من علمي التفسير والفقه . وبالرغم من تعدد مشاغله ومشاكل ملكه البعيد الأرجاء كان يزور مجالس التدريس العامة فيطلع على أعمال الطلبة ويميزي منهم الأذكياء المجتهدين .

وقد كان سعود كبيراً في أخلاقه مثله في أعماله ، لا ينكر الفضل على ذويه وإن كانوا من أعاديه ، ولا يقف في إحسانه ومكارمه عند شبهات النفس وأهوائها ، مثال ذلك معاملته للشریف غالب ، على ما كان يبطنه الشریف من الكيد والغلّ فلو كان فاتح مكة غير سعود ، لو كان محمد علي مثلاً ، لما أذن للشریف بالعودة إليها بعد أن فرّ منها هارباً إلى جدة ( ١ ) .

---

( ١ ) أمين الريحاني : تاريخ نجد وملحقاتها .

## حبه للمشورة وديموقراطيته :

لم يكن سعود ، كما وصفه بعضهم ، ملكاً مستبداً ، معتداً بنفسه ، مستغنياً برأيه عن آراء الناس ، بل كان حريصاً على مشورة العلماء والعقلاء ، وخصوصاً أبناء الشيخ ، قبل الإقدام على أي أمر ذي خطر . وربما طلب زعماء البادية للمشورة في المسائل التي تتصل بهم ، وبذلك مضى على نهج أبيه وأجداده ، بل هذا هو الأسلوب المألوف عند شيوخ البدو أنفسهم ، وكيف لا يتمسك بالمشورة زعيم مسلم تقي مثل سعود ، وقد أمر الله سبحانه نبيه المصطفى بالمشورة ، فقال في حكم تنزيله : ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ وقال : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ .

ويقول « بروكلمان » إن سعود ( يعتبر مثال الحاكم العربي ، فقد كان يختلط بشيوخ البلد وعلى قدم المساواة المطلقة ، ولكنه كان قادراً دائماً على أن يفرض نفسه عليهم بمزاياه الشخصية وبخاصة الفصاحة ، التي لا تزال الى اليوم محل تقدير عظيم في بلاد العرب ) (١) :

وقد يؤخذ على سعود أنه أهمل ، في الفترة الأخيرة من حكمه ، العمل ببعض النصائح التي أسديت إليه ، ولكن هذا القليل « الشاذ » لا يخل بالقاعدة .

## شجاعته وخوف الأعداء منه :

كان سعود - كما وصفه ابن بشر - ( ثبثاً شجاعاً في الحروب ، محبباً إليه الجهاد ، في صفه وكبره .

.. وأعطى السعادة في مغازيه ولا أعلم أنه هزمت له راية ، بل نصر بالرعب الذي ليس له نهاية ، وكل أيامه مواسم ، ومغازيه غنائم ، وقذف الله الرعب في

---

(١) كتاب « تاريخ الشعوب الإسلامية » ترجمة فارس وبعليكي .

قلوب أعدائه ، فاذا سمعوا بمغزاه ومعداه ، هرب كل منهم وترك أخاه وأباه ، وماله وما حواه ) .

وقد وجدنا في كتاب أرسله والي بغداد علي باشا الى السلطان العثماني هذه الكلمات التي تظهر شدة خوف الولاة العثمانيين من شجاعة سعود وفتكه ، قال :

( .. إنه كالصقر ، سريع الاختطاف ، طويل اليد ، شديد البأس ) .

ويقول أمين الريحاني : ( لم تهزم لسعود راية في غزواته كلها وفتوحاته ، ولا حالت دونها أوعار شبه الجزيرة وأهوال بواديها ، فقد اجتازت جيوشه حتى ( الحرّة ) ، قال ابن بشر : « سار بالمسلمين يعتسف من الفيافي السهل والصعاب ، ويطوي من أديم الأرض كل موحشة يباب ، ولا يسمع فيها غير أصوات العرج والذباب ، يضلّ فيها القطا ، ويحير الخريت في مهامها ، لا يرى بقفرها أنيس ، ولا يبصر في رحبها أثر العيس . مظمأة يحاكي لون أديمها زرقة السماء ، مغبرة الأفق والأرجاء ، يحس الساري بما للجن فيها من الغمغمة والزمزمة . وبعد إنضاء الأعوجيات ، وإرقال المهريات ، وسبابس الفلاة ، تبين له سواد الحرّة » .

أما في غزواته وفتوحاته فلم يكن ليخرج عن القاعدة : ان الحرب خدعة . وللعرب في ذلك أساليب تقتن فيها السذاجة بالدهاء ، فقد كان سعود اذا أراد أن يغزو الى جهة الشمال يظهر أنه يريد الجنوب أو الغرب ، والعكس بالعكس . وعندما نزل الرقبة في غزوة الأحساء أمر رجاله أن يوقد كل واحد منهم ناراً وأن يطلقوا كلهم البنادق عند طلوع الشمس ليرهبوا أهلها ، فلما بزغت الشمس فعلوا ذلك دفعة واحدة فارتجت الارض وأظلمت السماء وأسقط كثير من الحوامل في الاحساء . هذه الطريقة في الحرب ، طريقة الإرهاب والترويع ، مألوفة عند العرب وخصوصاً عند أهل نجد . )

## حدثه أحياناً :

ويذكر بركات ، عن رجال عرفوا الامام سعود معرفة تامة ، أنه كانت فيه «حدة» ، وإن كان سريع الرضا. ويقال إنه كان يخاف على نفسه من الاسترسال في الغضب ، فكان يوصي الامراء والشيوخ المقربين منه أن يحولوا بينه وبين الرجال الذين يثيرون غضبه .. وكان أكثر شيء يكرهه الكذب ، جاء مرة رجل بقصة مكدوبة ، فحاول سعود أن يحمله على قول الحقيقة ، فلم يفعل ، فنهض اليه سعود يشتمه ويلكه ، فحال الأمراء بينه وبين الرجل ، ولما «فترت» ثورة غضبه وهدأ ، التفت اليهم شاكرأ لهم حسن صنيعهم .